الإيمـان

بســم الله الرحمـــن الرحيـــم

الحمد لله فـاطر السموات والأرض. ذي الجلال والإكرام. والـطول والإنعام خالق الخلق . مالك الملك .

والصلاة والسلام علي أفضل خلقه. وخاتم رسله. البشير النذير. سيد ولد آدم ولا فخر. سيدنا محمد بن عبد الله . وعلي آله وصحبه أجمعين وبعـد .

فهذه عجالة تعرفنا بالإيمان. الذي جاء به خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد ﷺ . بعيدة عن المصطلحات التي كثيرا ما ترهق القارئ .

وقد دار الحـديث في هذه العجالة حـول حديث نبوي شـريف أخرجه الشيـخان البخاري ومسلم. يسمي حديث جبريل .

لأن السائل فيه. هو جبريل عليه السلام. جاء إلي رسول الله ﷺ في صورة بشرية يراه الصحابة رضي الله عنهم.

وجلس بين يدي رسول الله ﷺ في غاية الأدب والكمال فأسند ركبتيه إلي ركبتي النبي ﷺ ووضع كفيه علي فخديه علي هيئة الجالس في الصلاة للتشهد الأوسط.

وقد عظمت قيمة هذا الحديث بتخريج الصحيحين وهما أصح الكتب بعد القرآن الكريم. وقد تلقتهما الأمة بالقبول. وجميع الأحاديث المسندة فيهما مقطوع بصحتها.

كمـا عظمت قيمـته كذلك بما تضـمنه من تعريف بالإسلام والإيمان والإحـسان وعظمت قيمـته ثالثا من ناحية كـون السائل جبريل أمين الوحي عليه السـلام جاء يسأل ليعلم الناس دينهم. من جوابه ﷺ .

وقد حرصت علي أن أعرف الإيمان كما جـاء في حديث جبريل هذا. مستندا في جميع ما أقوله إلي نصوص الكتاب والسنة النبوية المطهرة .

والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل .

حديث جبريل: عن عمـر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول ﷺ ذات يوم. إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثـياب. شديد سواد الشعر. لا يري عليـه أثر السفر ولا

يعرفه منا أحـد. حتي جلس إلي النبي ﷺ. فأسند ركبتـه إلي ركبتيه ووضع كـفيه علي فخديه .

وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام.

فقال رسـول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محـمدا رسول الله. وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً .

قال : صدقت .

قال : فعجبنا له يسأله . ويصدقه .

قال : وأخبرني عن الإيمان .

قال : أن تؤمن بالله ومـلائكته وكتـبه ورسله واليـوم الآخر وتؤمن بالقدر خـيره وشره .

قال : صدقت .

قال : فأخبرني عن الإحسان .

قال : أن تعبد الله كأنك تراه . فإن لم تكن تراه. فإنه يراك .

قال : فأخبرني عن السـاعة .

قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل .

قال : فأخبرني عن أماراتها .

قال : أن تلد الأمة ربتـها. وأن تري الحفاة العراة العـالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان .

قال : ثم انطلق فلبثت مليا .

ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل ؟

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .

رواه مسلم باب « أمارات الساعة » جـ ١ ص ١٥٧ ـ ١٦٠

أخي أيها المسلم أحببت أن أربط إيمانك بأصل من أصول دينك ذلك الأصل هو الأصل الثاني بعد القرآن الكريم. وهو السنة النبوية المطهرة .

شارحة القرآن ومبينته كما قال تعالي ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما أنزل إليهم ﴾ .

ولكون السنة شارحة ومبينة للقرآن الكريم فقد ربطت حديثي عن الإيمان بحديث نبوي شريف لما فيه من تفصيل للإيمان .

وفي هذا الحديث النبوي رأينا أن هناك فرقا بين الإسلام والإيمان والإحسان غير أنه يتدرج من الكمال إلي الأكمل .

فمقام الإيمان فوق مقام الإسلام. وقد تدرج بذلك القرآن الكريم في قوله تعالي ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾

فقد يكون هناك إسلام. لا إيمان معه . وذلك كإسلام المنافقين . الذي هو إنقياد ظاهري فقط. ينفع في الدنيا. ولا ينفع في الآخرة. «يخادعون الله وهو خادعهم » .

وقد يكون هناك إيمان لا إحسان معه.

فإذا اجتمع للمرأ الإسلام والإيمان والإحسان. فقد اجتمع له الخير كله .

وفي هذا الحديث نري أن الإيمان عبارة عن جملة اعتقادات قلبيه. بلغ مجموعها ستة اعتقادات .

هي الإيمان / بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، والقضاء والقدر خيره وشره .

وعن هذه الاعتقادات الستة الأصول. توجد اعتقادات فرعية أخرى كثيرة أشرنا إلي بعضها. وتركنا البعض الآخر لقصد الإيجاز .

والأصل الأول من هذه الأصول الستة

هو الإيمان بالله عز وجل . الإيمان بوجوده . والإيمان بأنه متصف بكل كمال. ومنزه عن كل نقص .

والأدلة علي وجوده تعالي مبثوثة في الأنفس والآفاق. وفي الآيات المتلوة .

فأدلة وجوده في أنفسنا آشار إليها تعالي بقوله :﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾

وفصل طرفا منها بقوله : ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ وبقوله : ﴿ هل أتي علي الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا.إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾

فأدلة وجـوده تعالي في الأنفس خلقـنا وبروزنا من العدم إلي الوجـود. فالله هو خالقنا ومنكر الخالق مكابر .

فالعـقل البشري السوي ينكر وجـود مخلوق بدون خالق. والقـرآن الكريم يصرح بذلك. ويشير إلي أن وجودنا دليل علي وجوده تعالي. قال عز من قائل: ﴿أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون ﴾ .

فالمخلوق إن لم يؤمن بوجـود الاله الخالق. فلا بد من أحد أمريـن كلاهما باطل عقـلا. الأول أن يكون المخلوق قد خلق بدون خـالق. الثاني أن يكون المخلـوق قد خلق نفسه وكلا الأمرين باطل عقلا. فثبت وجود الإله الخالق .

ومن عجب أن يكابر الملاحدة في هذه القضية الفكريه .

ويزعـمون أن الكون وجـد بالصدفـة. مع أنهم لا يؤمنون بالصـدفه في علمـهم المحدود المتصل بظواهر هذا الكون .

ويروي أن القول بالصدفـة في العلوم هو قول الجاهلين ولكنهم يقـولون بالصدفة في وجود الأكوان كلها. وخلق الإنسان من بينها ألا ما أضل الفكر البشري. عندما يقول بمثل هذا الهراء .

وأما الأدلة علي وجوده تعالي المبثوثة في الآفاق. فنراها في السموات وفي الأرض وما بين السـموات والأرض من مخلوقات عظيـمة مسخـرة. لا تحيد عما سـخرت له. فالشمس والقمر والنجوم والكواكب كل في فلك يسبح .

﴿ لا الشـمس ينبـغي لها أن تـدرك القمـر ولا الليل سـابق النهـار وكل في فلك يسبحون ﴾ .

ويشـير المولي عـز وجل إلي دلالة هذه المخلوقـات من السمـوات والأرض علي

وجوده بقوله ﴿ أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ﴾ .

فالسموات والأرض لم يخلقا أنفسهما قطعا. ولم يقل بذلك قائل أبداً. ولم يدع أحد من المخلوقات أنه خلق السموات والأرض. فثبت بهذا أن خالق السموات والأرضين هو الموالي عز وجل .

قال تعالي ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم أستوي علي العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ (الأعراف / ٥٤)

هذا ولا يقف الإيمان بالله عند الإيمان بوجوده عز وجل بل يجب أن نؤمن بأنه تعالي متصف بكل كمال يليق بذاته تعالي. ومنزه عن كل نقص. مع العلم بأن كمالات الله لا تتناهي . فالمولي عز وجل واحد لا شريك له .

فلا زوجة له ولا ولد ولا شريك له في ملكه. يقول تعالي ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم. قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد ﴾ .

ويشير تعالي إلي بطلان القول بشريك له . بقوله عز وجل: ﴿لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا ﴾(الأنبياء/ ٢٢) . ويوضح سبب الفساد في آية أخري بقوله ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا بيتغوا إلى ذي العرش سبيلا﴾ (الإسراء/ ٤٢) بمعني أنه لو كان معه تعالي آلهة كما يقول المشركون لوقع بينهم التنازع والاختلاف ولقد أرسل تعالي رسله لتأكيد وحدانيته .

فما من رسول إلا وكان هدفه الأول من رسالته الدعوة إلي توحيد الله سبحانه وتعالي .

قال عز من قائل﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون (الأنبياء)

ونؤمن بأنه تعالي قديم بلا ابتداء. وآخر بلا انتهاء .

فهو أزلي أبدي. لا أول لوجوده. ولا نهاية له. قال ﷺ: « اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ»وقال تعال يصف نفسه ﴿هو الأول والآخر ﴾ .

ونؤمن كذلك بأنه تعالي ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ فليس له شبيه ولا مثيل وكل ما خطر ببالك وصفا له. فالله بخلاف ذلك .

وإيمانك بما لا تدرك حقيقة ليس بغريب عليك. فأنت تؤمن بأنك جسم وروح وإن حياتك علي ظهر هذه الأرض رهن بوجود روحك في جسدك .

وبخروج هذه الروح تنتهي الحياة. ومع ذلك تجهل حقيقة روحك هذه. التي هي حقيقتك. حتي لقد سأل عنها المشركون رسول الله ﷺ .ولم يظفروا منه بجواب لأن علم حقيقتها فوق طاقتهم .قال تعالي ﴿ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ .

ونؤمن كذلك بأنه تعالي قادر لا يعجزه شئ قال سبحانه: ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو علي كل شئ قدير ﴾ (الملك / ١) .وكرر تعالي هذا المعني في القرآن الكريم مرارا.

وقال سبحانه مشيرا إلي عظيم قدرته. ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالي عما يشركون﴾ .

كما نؤمن بأنه لا يقع في الوجود شئ إلا بإرادته تعالي. قال سبحانه: ﴿ إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون (الزمر / ٧٦). وقال تعالي ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ (النحل / ٤٠)

ولا يتحقق من إرادة المخلوق إلا ما وافق إرادة الخالق فحسب وما لم يوافق إرادة الخالق فلا يتحقق لأنه لا يقع في ملك الله إلا ما يريده .

ونؤمن بأنه تعالي مدبر أمر مخلوقاته. قال تعالي ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوي علي العرش يدبر الأمر ﴾(يونس/٣) وقال تعالي ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل افلا تتقون﴾ (يونس/ ٣١).

كما قال تعالي ﴿ يدبر الأمر من السماء إلي الأرض﴾ (السجدة / ٥).

فهو سبحانه مدبر أمر الخلائق. لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا يشغله شأن عن شأن. ولا يتبرم بإلحاح الملحين ولا يلهيه تدبير الكبير عن

الصغير في الجبال والبحار والعمران والقفار. وما من دابة في الأرض إلا علي الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾

ونؤمن بأن علمه تعالى ذاتي أزلي أبدي محيط. قال سبحانه: ﴿ وهو بكل شيء عليم﴾ (البقرة:٢٩) كما قال تعالي: ﴿إن الله واسع عليم ﴾ (البقرة:١١٥) وقال سبحانه وتعالي: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولارطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ (الأنعام:٥٩)

وعلمه تعالي سبَّاق. فهو يعلم الأشياء قبل وجودها.

يعلم ما سيكون قبل أن يكون. وعلمه تعالي لا يتناهي. لأنه صفته وصفاته تعالي غير متناهية.

قال تعالي: ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾ (الكهف:١٠٩)

كما قال سبحانه: ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ (لقمان:٢٧)

وهو تعالي يعلم السر وما يخفي ﴿ يعلم خائنه الأعين وما تخفي الصدور ﴾ (غافر:١٩)

وهو تعالي سميع بصير. بسمع وبصر يليقان بذاته عز وجل.

قال عز من قائل: ﴿ فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ (البقره:١٣٧)

وقال تعالي: ﴿ واعلموا أن الله سميع عليم ﴾(البقره: ٢٤٤)

وقال تعالي ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (الشوري:١١)

وقال تعالي : ﴿ إنه بعباده خبير بصير﴾ (الشوري :٢٧)

وقد تكرر وصفه تعالي لنفسه بالسمع والبصر في القرآن مرارا بصيغة المبالغة.

وهوتعالي متكلم بكلام يليق بذاته. ليس بحرف ولا صوت. سمعه كليم الله سيدنا

موسي عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام ووعاه . وقال تعالي : ﴿ **ولما جاء موسي لميقاتنا وكلمه ربه** ﴾ (الأعراف:١٤٣)

وسمعه سيدنا رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج وهو في السموات العلا. بعد سدرة المنتهي.

ويسمعه أمين الوحي جبريل. وقد سمع القرآن الكريم كله من رب العزة ووعاه ونزل به علي المصطفي ﷺ. قال تعالي : ﴿ **نزل به الروح الأمين علي قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين** ﴾ (الشعراء:١٩٣/ ٩٥)

ونؤمن كذلك بمعيته تعالي: فهو معنا أينما كنا وحيثما حللنا. وقال تعالي ﴿**وهو معكم أينما كنتم** ﴾ وقال تعالي ﴿ **ما يكون من نجوي ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدني من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا** ﴾ (المجادله:٧)

فهو عز وجل رقيب علينا لا يغيب عنه شيء من أعمالنا.

وهو أقرب إلينا من أنفسنا. وقال تعالي : ﴿ **واعلموا أن الله يحول بين المرأ وقلبه** ﴾ (الأنفال:٢٤) فمن يحول بين المرء وقلبه فهو أقرب إليه من نفسه.

روي الأمام أحمد بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك» قال: فقلنا يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟قال: نعم إن القلوب بين إصبَعَين من أصابع الله تعالي يقلبها.

ونؤمن بأنه تعالي رحمن رحيم أرحم بعباده من أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم وفي الحديث. وقد أشار ﷺ إلي امرأة في السبي قد تحلب ثدياها وكلما وجدت طفلا في السبي ألصقته ببطنها وأرضعته، يقول ﷺ وقد أشار إليها. «أترون هذه المرأة طارجة ولدها في النار ؟. قلنا: لا والله. وهى قادرة علي أن لا تطرحه. قال : فالله تعالي أرحم بعباده من هذه بولدها » .

ويصفه تعالي حملة عرشه بالرحمة السابغة فيما حكاه تعالي عنهم بقولهم﴿ **ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما** ﴾ (غافر:٧)

رواه البخارى

ونؤمن بأنه وجده النافع الضار. فلا نافع إلا هو. ولا ضار غيره والمخلوقات جميعا في قبضته يصرفها كيف يشاء. ومن هنا فلانرجوا إلاهو ولا نخاف سواه.

وقال تعالي : ﴿ **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو. وإن يردك بخير فلا راد لفضله. يصيب به من يشاء من عباده**﴾ (يونس:١٠٧).

ويقول ﷺ ﴿ **واعلم أن الأمة لو اجتمعت علي أن ينفعوك بشيء فلن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. وإن اجتمعت علي أن تضرك بشئ فلن تضرك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف** ﴾.

ويخاطب أبا هريرة رضي الله عنه. وقد استشاره في أمر فيقول له: ﴿ **جف القلم بما أنت لاق يا أبا هريره** ﴾ .

« فلو اجتمع الخلق كلهم علي شيء كتبه الله تعالي أنه كائن ليجعلوه غير كائن. لم يقدروا عليه. ولو اجتمعوا كلهم علي شيء لم يكتبه الله تعالي ليجعلوه كائنا. لم يقدروا عليه. جف القلم بما هو كائن إلي يوم القيامة» (١) .

ومن امتلأ قلبه يقينا بذلك فقد امتلأ قلبه أمنا.

ومن خلا قلبه من ذلك اليقين سلط الله عليه ما يخوفه من مخلوقاته. وسلبه الخوف منه عز وجل.

ونؤمن بأنه تعالي خلق ملائكتة

من النور فهم أجسام نورانية لطيفة. قادرة علي التشكل بالأشكال الحسنة ولا تحكم عليهم الصورة. مسكن غالبهم السماء، ومنهم من يسكن الأرض. يسبحون الليل والنهار لا يفترون. ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون من وصفهم بذكورة فسق. ومن وصفهم بأنوثة كفر وهم طوائف متعدده.

منهم الحفظة والكتبه، وغير ذلك من الطوائف. قال تعالي: ﴿ **وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون**﴾

ونؤمن تفصيلاً بمن ذكرهم الله تفصيلا، ومنهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل، ومنكر ونكير، وحملة العرش وغيرهم.

---

(١) شرح الطحاويه ٢١٢

« والملائكة هم الموكلون بالسموات والأرض. فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة قال تعالي: ﴿ **فالمدبرات أمرا**﴾ وقال تعالي ﴿ **فالمقسمات أمرا** ﴾

وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل. وأما المنكرون للرسل المكذبون للصانع. فيقولون: هي النجوم وقد دل الكتاب والسنة علي أصناف من الملائكة. موكلة بأصناف من المخلوقات فقد وكل عز وجل بالجبال ملائكة. وبالسحاب ملائكة وبالمطر ملائكة وبالأرحام ملائكة تدبر أمر النطفة حتي يتم خلقها. وبالموت ملائكة . والأفلاك ملائكة يحركونها. وبالشمس والقمر ملائكة. و بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها ملائكة. وبالجنة وعمارتها وغرسها ملائكة.

فالملائكة أعظم جنود الله منهم « المرسلات عرفا » «الناشرات نشرا» و « الفارقات فرقا » و «الملقيات ذكرا » ومنهم « النازعات غرقا » « الناشطات نشطا » و « السابحات سبحا » « فالسبقات سبقا » ومنهم « الصافات صفا. فالزاجرلت زجرا فالتاليات ذكرا »

ومعني قولنا: لا تحكم عليهم الصورة.

أن الملك إذا ظهر في صورة بشر مثلا. وأمسكناه وأراد أن يذهب استطاع الذهاب ولا نجده في أيدينا. وذلك عكس الجني . فإن الصورة تحكم عليه فلو أن جنيا ظهر في صورة ما. صورة بشر أو حيوان آخر و أمسكناه لبقي في أيدينا في صورته التي دخل فيها. ومن هنا يمكن قتل الجني. إذا ظهر في صورة وقتلناه فيها.

فقد ورد أن بعض الصحابة وكان حديث عهد بعرس . عاد من غزو مع رسول الله ﷺ. فوجد امرأته علي باب منزله مضطربة فسألها عن شأنها فطلبت منه أن ينظر ما علي فراشه فنظر فوجد حيَّة كبيرة، فغرز سيفه فيها فاضطربت ثم ماتت. غير أن الفتي قد مات أيضا.

فأخبر بذلك المصطفي ﷺ. فقال: إن بالمدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم شيئا من ذلك فآذنوه ثلاثا. فإن عاد فاقتلوه فإنما هو شيطان .

وقد اختلف السلف في معني إيذانه ثلاثا. فقال بعضهم: يقول له إذهب ثلاث مرات. وقال البعض الآخر بل يقول له اذهب ثلاثة أيام .

شرح الطحاويه ص ٢٤٥ : ١٤٦
رواه مسلم ص ١٤ : ٢٢٤)

وهكذا رأينا الصورة التي ظهر فيها الجني وهي صورة الحية قد حكمت عليه لما غرز الصحابي سيفه فيها وقتلته وإن كان الجن قد ثاروا من الصحابي وقتلوه أيضا.

ويقول ﷺ وقد تفلت عليه ليلة عفريت من الجن « إن عفريتا تفلت علي البارحة. فأحببت أن أربطه إلي سارية المسجد حتي يلعب به صبيان المدينة في الصباح. غير أني تذكرت قول أخي سليمان ﴿ رب هب لى ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾ (هود ٨١) فتركته مما يصرح بأنه لو ربط لما استطاع من الرباط فكاكا. لأن الصورة تحكم عليه وهذا بخلاف الملائكة.

فإنهم لما ذهبوا لزيارة سيدنا لوط عليه وعلي نبينا الصلاة و السلام وقد ظهروا في هذه الصورة غلمان حسان. وأراد قومه بهم سوءا. وهولا يعلم بأنهم ملائكة ففزع خوفا علي ضيفانه من إيذاء قومه. ولكن الملائكة أعلموه أنهم ملائكة وأن قومه لا يستطيعون إيذائهم. قال تعالي حاكيا كلام الملائكة لسيدنا لوط﴿ قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ﴾ .

ونؤمن بأن الله أنزل كتبا كثيرة. حدثنا عن بعضها ولم يذكر البعض الآخر ومن تلك الكتب المنزلة التوراة والأنجيل والزبور والقرآن الكريم. خاتم تلك الكتب. وخاتم رسالات السماء إلي الأرض .

ونؤمن بأن الكتب السابقة لم يتكفل الله بحفظها وهي كلامه لعدم الحاجة إليها بعد نزول القرآن الكريم .

فلقد رأي رسولنا ﷺ سيدناعمر وهو يطالع في صحيفة من التوراة فغضب من ذلك وقال: أمتهوكون أنتم يا عمر لقد جئتكم بها بيضاء نقية والذي نفس محمد بيده لو أن موسي حيا ما وسعه إلا اتباعي »[1] .

ومعني متهوكون : متحيرون .

وأما القرآن الكريم فقد تكفل الله عز وجل بحفظه. لأنه يحمل الرسالة الخالدة الباقية إلي قيام الساعة. قال تعالي ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾فالقرآن محفوظ بحفظ الله .

حديث حسن رواه البغوى فى شرح السنة وأخرجه أحمد فى المسند شرح السنة جـ ١ ص ٢٧٠ .

ومن حفظ الله له تيسير حفظه في الصدور وفي السطور معاً قال تعالي ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ ولا يتأتي هذا لكتاب آخر قال تعالي في الحديث القدسي :يخاطب الرسول ﷺ ﴿إني مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء.تقرأه نائماً ويقظان﴾ (١) .

فأشار تعالي بقوله ﴿لا يغسله الماء ﴾ إلي حفظه في الصدور.

ونؤمن بأنه تعالي أنزل القرآن الكريم لهداية الخلق وصلاح دنياهم وأخراهم قال تعالي ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلي النور بإذنه ويديهم إلي صراط مستقيم ﴾ (المائدة١٥:١٦).

كما قال تعالي ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ كما نؤمن بأنه لاصلاح للإنسانية إلا بالرجوع إلي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تحل حلالهما وتحرم حرامهما وتتأدب بأدبهما وإن طلب صلاح الإنسانية بعيدا عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ضرب من المحال .

ونؤمن بأنه الله بعث رسلا وأنبياء كثيرين «منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك» كما نؤمن بكل رسول أثبت القرآن رسالته ولا نفرق بين المرسلين من حيث الرساله.

قال تعالي ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ (البقرة ٢٨٥) .

وأولوا العزم من المرسلين خمسة رسل هم محمد و إبراهيم و موسي و عيسي و نوح صلي الله عليهم وسلم .

كما نؤمن بأن نبينا محمدا ﷺ أفضل رسل الله.وسيد ولد آدم ولا فخر بل هو سيد الخلائق جميعاً .

فهو أفضل خلق الله أفضل من جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وحملة العرش وأفضل من العرش والكرسي واللوح والقلم .

وأن البقعة التي تضم جسده الشريف بالمدينة المنورة أفضل البقاع في السموات

---

(١) صحيح مسلم .

والأرض بإجماع الأمة علي ذلك .

ويشهد لتفضيلة ﷺ علي غيره قوله ﷺ في حديث الشفاعة «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» ويعلل ذلك بأنه صاحب الشفاعة العظمي يوم القيامة .

كما أن جبرائيل ليلة الإسراء والمعراج استأخر عند سدرة المنتهي وتقدم ﷺ وحده يخوض في بحار من النور. وقال لرسول الله ﷺ «وما منا إلا له مقام معلوم» لو تقدمت خطوة لاحترقت .

كما يشهد لفضله إمامته للأنبياء ببيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج بتقديم جبريل عليه السلام له .

ونؤمن بأن أنبياء الله ورسله جميعاً يجب لهم كل كمال بشري. ويستحيل عليهم كل نقص بشري يخل بأداء رسالتهم . ويجب لهم تفصيلا الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة . فيستحيل علي أنبياء الله ورسله الكذب قبل الرسالة وبعدها وما ورد مما يوهم خلاف ذلك. فهو مما أباحه الله عز وجل لضرورة كما ورد في حديث «لم يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات» الحديث .

كما يستحيل علي أنبياء الله ورسله الخيانة بجميع صورها جلت الخيانة أم هانت لأن الخائن لا يصلح لحمل أمانة السماء قال تعالي ﴿**ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين**﴾ ويستحيل عليهم كتمان شئ مما أمرهم الله بتبليغه. لأن ذلك مما يخل بأداء الرسالة. قال تعالي ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾ وتجب لهم الفطانة أي الذكاء الحاد حتي يستطيعوا تبليغ رسالات الله علي أكمل الوجوه واقامة الحجة علي الكفار أعداء الدين .

هذا وما ورد مما يوهم ظاهره حصول الذنب منهم فهو مؤول بحسب ما يليق بكمالهم فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين .

ومن ذلك قوله تعالي يخاطب نبينا سيدنا محمدا ﷺ ﴿**إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ (الفتح ١،٢) فنسب إليه الذنب والمراد بالذنب

هنا فعل خلاف الأولي فحسب عن اجتهاد منه ﷺ لا لهوي نفسه بل استجابه لمعان شريفة غلبت عليه ﷺ من ذلك مثلا .

أخذه الفداء من أساري المشركين يوم بدر استجابه لمشورة الصديق ومن معه لأن ذلك يوافق ما غلب عليه ﷺ من الرحمة التي وصفة الله بها بقوله ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ (الأنبياء ١٠٧) .

والتي وصف نفسه بها معبرا عما يجده بين جوا نحه منها بقوله « إنما أنا رحمة مهداه »[١] فهو في أخذه الفداء لم يخرج عن أصل من أصول الشرع ومع ذلك أخذ بمشورة فريق من المؤمنين متأثرا بما فطره الله عليه من الرحمة السابقة .

وإن كان ذلك لم يكن الأفضل من حيث أغراض الجهاد في سبيل الله فعوتب علي ذلك فحسب .

وهكذا ما أسند لغيره مما يوهم وقوع المعصية من النبيين فهو مؤول بحسب ما يليق بمقامهم فالأنبياء معصومون من ارتكاب الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها .

هذا ويجب الإيمان أيضا بعموم بعثته ﷺ للإنس والجن جميعاً إلي يوم القيامة لقوله تعالي ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** ﴾وقوله تعالي﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً**﴾ ولقوله ﷺ « نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي ﷺ يبعث إلي قومه خاصة ويبعث إلي الناس كافة »[٢] .

كما قال ﷺ « لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي الا دخل النار »[٣] .

ودعوي بعض الضالين أن رسولنا ﷺ مبعوث إلي العرب خاصة دعوي ظاهرة البطلان فإنهم لما صدقوا برسالته لزمهم تصديقة في كل ما يخبر به وقد أخبر أنه رسول

---

(١) الجامع الصغير وصححه .
(٢) رواه الشيخان .
(٣) روه مسلم .

الله للناس كافة والرسول لا يكذب فلزم تصديقة في دعوي عموم رسالته ﷺ .

ونؤمن باليوم الآخر

وما فيه من قيام الناس من قبورهم وحشرهم وحسابهم وما فيه من صراط وميزان

ولقد أكد ﷺ أمر الإيمان باليوم الآخر وأقام الأدلة عليه . وما أنكر العرب عليه ﷺ بعد إنكارهم الوحدانيه شيئاً أكثر من إنكارهم البعث ولقد كان الأنبياء والمرسلون يلحون علي تأكيد هذين الأمرين الوحدانية والبعث فعليهما مدار رسالات السماء .

وكان الكافرون يرون الفناء عائقا للبعث وقد حكي الله عنهم ذلك ورد عليهم بأدلة تذهب بشبههم. قال تعالي ﴿**وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة**﴾ (الإسراء ٤٩ ، ٥١) .

وهكذا تحكي الآيات شبهة الكافرين وترد عليهم بما يبطلها في وضوح .

إنهم رأوا في الفناء حائلا دون البعث ورد الله عليهم بالخلق الأول خلقهم ابتداء فقد كانت أجسادهم ذرات مبعثرة هنا وهنالك فجمعها الله وسوى منها أجسادهم فمن قدر علي جمعهم أولا فهو قادر علي جمعهم ثانيا والدليل بهذه الصورة في غاية الوضوح يفهمه العامي الأمى ويرضي الفيلسوف الألمعي .

وتكررت هذه الشبهة علي ألسنة الكافرين فهذا أبي بن خلف من عتاة المشركين جاء رسول الله ﷺ بعظم قد رم وبلى فته بيده وقال :يا محمد أتري الله يحي هذا بعد ما رم ؟ فقال:نعم. ويبعثك ويدخلك النار ونزل في ذلك قوله تعالي ﴿ **وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر علي أن يخلق مثلهم بلي وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقولا له كن فيكون**﴾ (يس ٧٨ ، ٨٢) .

وفي هذه الآيات يحكي الله شبهة الكافرين في إنكار البعث ويرد عليهم بأكثر من رد كل واحد منها كاف في إبطال هذه الشبهة وهي شبهة وقوف الفناء حائلا أمام البعث

أما الردود فأولها تذكيرهم بخالقهم أولا فالقادر علي الخلق ابتداء أقدر علي الإعادة فالخلق ابتداء فيه تجميع لأجزاء مبعثرة فهو من هذه الناحية لا يختلف عن الإعادة أي البعث بل البعث أهون قال تعالي مشيراً إلي ذلك ﴿**وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة**﴾ .

والدليل الثاني علي البعث في هذه الآيات يشير إليه قوله تعالي ﴿**وهو بكل خلق عليم**﴾ وكأنهم استعظموا الجمع للأجزاء المبعثرة لتعذر العلم بأمكنتها فرد الله عليهم ببيان أن علمه كامل محيط لا يغيب عنه شئ .

ثم ذكر دليلاً ثالثاً ردا علي استصعابهم توارد الأضداد من حياة وموت علي الأجسام هو تذكيرهم بتوارد الأضدد أمام أعينهم بقوله تعالي ﴿**الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون**﴾ وشتان بين توارد الأضداد علي الشئ الواحد وبين إجتماعها معا في الشئ الواحد فتواردها غير مستحيل واجتماعها هو المستحيل قال فالضدان لا يجتمعان ابداً .

والشجر الأخضر هو نوع من أشجار البادية يمكن بواسطة دق بعضه ببعض آخر من أشجار البادية أيضاً أن تتولد منهما النار .

والدليل الرابع . هو الاستدلال علي وقوع البعث بخلق السموات والأرض فمن قدر علي خلق هذه الأجسام العظيمة لا يصعب عليه أن يخلق أجسام الناس عند البعث

وفي الدليل الخامس إشارة إلي بالغ قدرته تعالي وأنها لا تقاس بقوي البشر . «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» فإيجاده تعالي الأشياء لا تحتاج منه إلي معاناة وكد تعالي الله عن ذلك علوا كبيراً .

هذا و الأدلة علي وقوع البعث كثيرة متنوعة في القرآن. من ذلك قوله تعالي مشيرا إلي دليل عملي منها ﴿**وإذ قال إبراهيم ربي أرني كيف تحي الموتي قال أو لم تؤمن قال بلي ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل علي كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا**﴾ (البقره ٢٦٠) .

ومعني قوله: فصرهن أي قطعهن قال ابن كثير: قطعهن ونتف ريشهن ومزقهن

وخلط بعضهن ببعض ثم جزأهن أجزاء وجعل علي كل جبل منهن جزءا ثم دعاهن فجعل الريش يطير إلي الريش والدم إلي الدم واللحم إلي اللحم والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها ببعض حتي قام كل طائر علي حدته وأتينه يمشين سعياً .

ويذكر عز وجل قصة أخري ودليلاً مشاهداً عمليا علي البعث وقع للعزير وذلك أنه رأي بيت المقدس خرابا بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها فقال أني يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام وأمات معه حماره كذلك وعمرت البلد بعد مضي سبعين سنة من موته ثم بعثه الله وكان أول شئ أحياه الله فيه عينيه لينظر بها إلي صنع الله فيه كيف يحي بدنه وأراه عظام حماره وقد تناثرت ثم بدأ يركب بعضها بعضاً حتي صار حمارا قائماً من عظام لا لحم عليها ثم كساها الله لحما وجلداً وقد حفظ الله طيلة هذه المده طعامه الذي كان معه فلم يصبه فساد .

قال تعالي مشيراً إلي هذه القصه ﴿أو كالذي مر علي قرية وهي خاوية علي عروشها قال أني يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلي طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلي حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلي العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله علي كل شئ قدير﴾ (البقره ٢٥٩) .

هذا والقبر أول منازل الآخرة

فمن مات قامت قيامته فقد سأل قوم من الأعراب النبي ﷺ عن الساعة فنظر إلي أحدث إنسان منهم فقال «إن يعش هذا حتي يدركه الهرم قامت عليه ساعتكم» (١) .

ونحن نؤمن بعذاب القبر ونعيمه لقوله ﷺ: القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» ولقوله تعالي يتحدثا عن عذاب آل فرعون في القبر ﴿النار يعرضون عليها غدواً و عشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ (غافر ٤٦). فأثبت تعالي عذابا لآل فرعون بالغداة والعشي قبل قيام الساعة وما ذاك إلاعذاب القبركما قال السادة العلماء .

---

(١) رواه مسلم .

فعذاب القبر ونعيمه حق لا ريب فيه والموتي في قبورهم أحياء مسلمهم وكافرهم فإنه لا يصح عذاب ولا نعيم إلا مع الحياة .

وحياة الناس في قبورهم أكمل من حياتهم علي ظهر الأرض. ولكنها تختلف عنها في الصورة .

والمنعم أو المعذب في القبر هو الروح والجسد معا ولا تعجز قدرة الله عن ذلك وإن تفرق الجسد في أنحاء الأرض وإن أكلته السباع أو الأسماك فهو لا بد أن ينتهي آخر الأمر إلي مستقر من الأرض هو قبره . هذا ولقد كان ﷺ يخاطب الموتي في قبورهم ولا خطاب إلا مع الحياة والفهم فلقد خاطب قتلي بدر من المشركين بعد دفنهم وناداهم بأسمائهم قائلا : يا عتبة بن ربيعه وياشيبة بن ربيعه وبا أبا جهل بن هشام هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا.

فقال له الصحابة رضوان الله عليهم: أتخاطب قوما جيفوا يارسول الله ؟فقال لهم ﷺ ما أنت بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون كما كان ﷺ يري ما يدور في القبور من نعيم أو عذاب .

فلقد مر علي قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول. وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة. ثم أخذ جريدة رطبة فشقها باثنتين. ثم غرز علي كل قبر منهما واحدة قالوا لم يا رسول الله ؟ .

قال: «لعله يخفف عنها ما لم ييبسا» (١) .

وقد ثبت في الصحيح أن الميت يستأنس بالمشعين لجنازته بعد دفنه .

فعن عبد الرحمن بن شماسة المهدي قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكي طويلا وحول وجهه. فجعل ابنه يقول: ما يبكيك يا أبتاه ؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا ؟ فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلي أن قال: فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار. فإذا دفنتموني فسنوا علي التراب ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتي استأنس بكم وأنظر

---

(١) رواه الشيخان

ماذا أراجع به رسل ربي [1] .

ولا يستأنس بالأحياء إلا حي .وإذا كنا قد رأينا كلام الأحياء للأموات في حديثه ﷺ لقتلي المشركين يوم بدر .

فقد ثبت كذلك كلام الأموات للأحياء.روي ابن القيم في كتابه «الروح»أن ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه خرج يوم اليمامة مع خالد بن الوليد لحرب مسيلمة الكذاب فلما التقي الجيشان انكشف المسلمون فقال ثابت وسالم مولي أبي حذيفة ما كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ ثم حفر كل واحد منهما حفرة فثبتا وقاتلا حتي قتلا. وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها.فبينما رجل من المسلمين نائم إذا أتاه ثابت في منامه فقال له:أوصيك بوصية إياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إني لما قتلت بالأمس مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصي الناس وعند خبائه فرس وقد كفأ علي الدرع برمه وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره أن يبعث إلي درعي فيأخذها.

وإذا قدمت المدينة علي خليفة رسول الله ﷺ يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقل له:«إن علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق فأتي الرجل خالدا فأخبره فبعث إلي الدرع فأتي بها وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته» [2] .

وكان ﷺ يأمر التعوز من عذاب القبر.ويصرح بخطورته.

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال:بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار علي بغلته ونحن معه إذ حادت فكادت تلقيه فإذا أقبر خمسه أو ستة فقال:من يعرف أصحاب هذه القبور ؟فقال رجل أنا يا رسول الله فقال:فمتي مات هؤلاء ؟قال:ماتوا في الأشراك قال:إن هذه الأمة تبتلي في قبورها.فلولا أن لا تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم عذاب القبر الذي أسمع منهم.ثم أقبل علينا فقال:تعوذوا بالله من عذاب القبر تعوذوا بالله من عذاب القبرتعوذوا بالله من عذاب القبر [3] .الحديث .

وفي هذا الحديث نري أن البهائم تري ما يدور في القبور من عذاب أو نعيم

---

(١) رواه مسلم . (٢) كتاب الروح لابن القيم صـ ٢٠ ، ٣١ . (٣) رواه مسلم

وتسمع ما فيها فما نفرت بغلة المصطفي ﷺ إلا بسبب مشاهدتها عذاب هؤلاء المشركين

ويؤكد ذلك ما رواه مسروق عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فأستوهبتها طيبا فوهبت لها عائشة فقالت لها اليهودية: أجارك الله من عذاب القبر قالت: فوقع في نفسي من ذلك حتي جاء النبي ﷺ فذكرت ذلك له قلت يا رسول الله: إن للقبر عذابا ؟قال: نعم إنهم ليعذبون في قبورهم عذابا تسمعه البهائم» [1].

هذا ومما تقدم نؤمن أنه ليس بين الإنسان وبين ربه ومحاسبته علي الصغير والكبير إلا أن يموت فتقوم بذلك قيامته الخاصة به. ويلقي جزاء عمله من خير أو شر .

فتهيأ أخي المسلم للقاء ربك. فقد تفاجأ أصح ما تكون في شبابك قبل هرمك والدنيا مقبلة عليك غير مدبرة قد تفاجأ بزيارة رسول ربك ملك الموت يدعوك لهذا اللقاء ولا ينتظر منك إذنا . فإذا بك وحيد قبرك . وأسير عملك وقد زالت عنك غشاوة دنياك. وصدق فيك قول مولاك «فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم جديد».

ونؤمن بالقدر خيره وشره

ومعني القدر: أن الله تعالي قدر الأشياء في القدم. وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلي صفات مخصوصة فهي تقع علي حسب ما قدرها سبحانه وتعالي .

فمن أنكر القدر فقد كفر قال شارح الطحاوية: فمن وحد الله وكذب بالقدر نقص تكذيبه توحيده لأن الإيمان بالقدر جزء من الإيمان في حديث جبريل عليه السلام المتقدم

ولما رواه ابن ماجه بسنده عن ابن الديلمي قال: وقع في نفسي شئ من هذا القدر خشيت أن يفسد علي ديني وأمري فأتيت أبي بن كعب فقلت: أبا المنذر إنه قد وقع في نفسي شئ من هذا القدر فخشيت علي ديني وأمري فحدثني من ذلك بشئ لعل الله أن ينفعني به فقال:

لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم. ولو

---

(١) رواه البخارى .

رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو كان لك مثل جبل أحد ذهبا أو مثل جبل أحد تنفقه في سبيل الله. ما قبل منك حتي تؤمن بالقدر فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وأنك إن مت علي غير هذا دخلت النار ولا عليك أن تأتي أخي عبد الله بن مسعود فتسأله. فأتيت عبد الله فسألته فذكر مثل ما قال أبي .

وقال لي : ولا عليك أن تأتي حذيفه فأتيت حذيفه فسألته فقال مثل ما قال وقال: ائت زيد بن ثابت فاسأله . فأتيت زيد بن ثابت فسألته فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن الله عذب أهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم. ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو كان لك مثل أحد ذهبا أو مثل جبل أحد تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتي تؤمن بالقدر كله فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وأنك إن مت علي هذا دخلت النار» (١) .

وقد أنكرت القدرية هذا وزعمت أن الله تعالي لم يقدر الأشياء قبل وقوعها فنبسوا بذلك الجهل لله تعالي ألا كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا والقرآن الكريم يثبت القدر كما أثبتته السنة .

قال تعالي ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك علي الله يسير ﴾ (الحديد ٢٢).

وقال ﷺ: «وأعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك وأعلم أن الأمة لو أجتمعت علي أن ينفعوك بشئ فلن ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك وأن اجتمعت علي أن تضرك بشئ فلن تضرك إلا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » (٢) .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس رأسة ينكت بمخصرته ثم قال: ما

---

(١) ابن ماجه حـ ا صـ٢٩ ،صـ٣٠ .

(٢) رواه الترمذى . وقال حسن صحيح .

من نفس منفوسه إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة قال: فقال رجل : يا رسول الله افلا نمكث علي كتابنا وندع العمل ؟.

فقال ﷺ « من كان من أهل السعادة فسيصير إلي عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلي عمل أهل الشقاوة ».

ثم قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فيسرون لعمل أهل الشقاوة .

ثم قرأ: «فأما من أعطي واتقي وصدق بالحسني فسنيسره لليسري. وأما من بخل واستغني وكذب بالحسني فسنيسرة للعسري »[1] .

ومما تقدم نؤمن أنه لا يبرز شئ إلي الوجود إلا وفق قدر الله السابق جل ذلك الشئ أم هان ولا مجال للصدفة أبدا في الكون علويه وسفليه ولا للحظ وإنما هو القدر السابق الذي قدره الله عز وجل .

فأحداث يومك مثلا لو كوشفت بقدر الله لرأيتها صورة مطابقة لما سبق به القدر قال تعالي ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ .

فسقوط ورقة ذابلة حركتها الريح فسقطت قد قدر الله سقوطها أزلا بهذا السبب في ذلك الوقت بمعنى أن ما تبرزه القدر الإلهية إنما هو وفق مخطط أزلي سابق هو القدر وليس في الوجود قدرة تزاحم قدرة الله عز وجل وإنما سائر القدر منحة منه عز وجل وتدور في فلك قدرته عز وجل تابعة غير مؤثرة فلا تستقل قدرة مخلوق بإيجاد شئ أبدا .

قال تعالي ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾

هذا وإيماننا بالقدر لا يقعد بنا عن عمل ولا يسلمنا إلي كسل بل علي العكس من ذلك هو قوة دافعة للعمل فهو يزيل من النفوس المخاوف ويملأها ثقة وطمأنينة .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

هذا مسلم يستند إلي القدر في دفع الخوف من القتال من نفسه .

فيقول لنفسه :

أي يومي من الموت أفر يوم لا قدر أم يوم قد قدر

يوم لا قدر لا أرهبه ومن المقدور لا ينجو الحذر

فهو يستمد الشجاعه من عقيدته التي تؤمن بالقدر .

ذلك أنه إن لم يقدر عليه في معركته تلك موت فلا خوف إذن وإن كان قد قدر عليه فيها موت فلا بدمنه ولا ينجي حذر من قدر .

قال تعالي مشيرا إلي ذلك **﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلي مضاجعهم﴾** (آل عمران: ١٥٤) .

وهذا خالد بن الوليد سيف الله يموت علي فراشة وهو يقول مشيراً إلي عقيدته التي تؤمن بالقدر: لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح وها أنذا أموت علي فراشي كما تموت العير فلا نامت أعين الجبناء » .

إنه لم يقدر عليه الموت في المعاوك فشهد مائة معركة بطلا مظفرا ولكنه لم يمت في المعارك ومات كما قدر الله عليه علي فراشه فما يخاف الجبان ويقول ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص علي ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شئ فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن «لو» تفتح عمل الشيطان وفي هذا الحديث نري الإيمان بالقدر يدفع الندم القاتل علي الفائت الذي يدفع الكثير للانتحار ويحل بدلا منه الإيمان المستتبع للرضا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل» وهي تساوي قدر الرحمن الرحيم بي هذا الأمر ولا بد أن تكون عاقبته خيرا لأنه قضاء الرب الرحمن الرحيم.

وهكذا نري عقيدة القضاء والقدر بجانب كونها عقيدة دافعة للعمل. فهي كذلك ما نعة من اليأس والكسل والانهيار أمام قسوة الأحداث.

ابن ماجه حـ١ صـ٣١

وليس لعاص أن يحتج علي معصيته بالقدر ذلك أن القدر لا علم لنا به إلا بعد بروزه ولكننا نعلم أن هناك أوامر أمرنا الله بها ونواه نهانا الله عنها فمن واجب العاقل أن يشتغل بما يعلم أنه مطلوب منه فيسارع إلى الطاعة ويبتعد عن المعصية .

وألا يشغل نفسه بما غيب عنه من قدر الله عليه. فإذا وفق لطاعة حمد الله علي قدره وإن كانت الأخري ووقع في معصية سارع للاستغفار والتوبة منها وعزي نفسه علي ما ابتلاه الله به من معصية قدرها الله عليه .

وكذلك يجد في حياته وأعمال دنياه ويأخذ حذره ما استطاع ويرضي بالنتيجة آخر الأمر بعد أن يستفرغ الجهد في تجويد عمله وتحسينه فإن قدر الله غالب .

روي ابن ماجة في سننه عن عمرو بن دينار أنه سمع طاوسا يقول: سمعت أبي هريرة يخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «احتج آدم وموسى فقال له موسى :يا آدم أنت أبونا حبيبنا وأخرجتنا من الجنة بذنبك فقال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده .أتلومني علي أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ فحج آدم موسي فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثا .

فعليك أخي بالإيمان بالقدر. يدفعك لصالح العمل ويأخذ بيديك إذا ادلهمت الحياة من حولك .

هذا والإيمان يثمر العمل فمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيرة وشره .

اندفع لصالح العمل من صلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك مما جاء به كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ .

ومن هنا قال بعض علمائنا الإيمان تصديق بالجنان وعمل بالأركان ونطق باللسان أي نطق بالشهادتين .

وعند التحقيق فالإيمان الكامل هو هذا وهل يتصور ممن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره علي النحو الذي سبق تفصيله أن يترك الصلاة والزكاة والحج وصوم رمضان .

إن إيمانه يدفعه دفعا للامتثال لأوامر الله ورسوله. قال تعالي ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلي ربهم يتوكلون الذين يقيمُون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا﴾ (الأنفال ٢،٣،٤) .

وإذا كمل للمرء إيمانه أثمر له مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل المتقدم بقوله «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وأنعم به من مقام يثمر كمال المراقبة لله عز وجل .

فإن من يمتلئ يقينه بمعية الله وكمال مراقبته لا تجد المعصية إليه سبيلا ولا يستطيع الشيطان أن يقترب منه بوساوسه وهمزاته .

ويقبل علي الطاعة متلذذا بها مستشعرا الأنس بربه دائم اللجوء إليه. لا يرفع لغيره حاجة نزلت به .

هذا خليل الرحمن وهو من أكابر رجال هذا المقام مقام الإحسان بعد نبينا سيد الأنام ﷺ .

يعرض له جبريل وهو طائر بين السماء والأرض إلي النار التي أوقدها له المشركون يقول له جبريل في هذه اللحظة العصيبة . ألك حاجة ؟ فيقول له :أما إليك فلا. وأما إلي الله فبلي. فيقول له جبريل: فسل الله حاجتك. فيقول أب الأنبياء وقد امتلأ قلبه يقينا يقرب الله منه ومعيته له يقول : علمه بحالي يغني عن سؤالي .

اللهم املأ قلوبنا إيمانا بك وتصديقا بملائكتك وكتبك ورسلك واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره .ويسرلنا طاعتك ويغض إلينا معصيتك .وأرزقنا مقام الإحسان فضلا منك وإحسانا.

وصل اللهم علي سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي وعلي آله وصحبه وسلم .